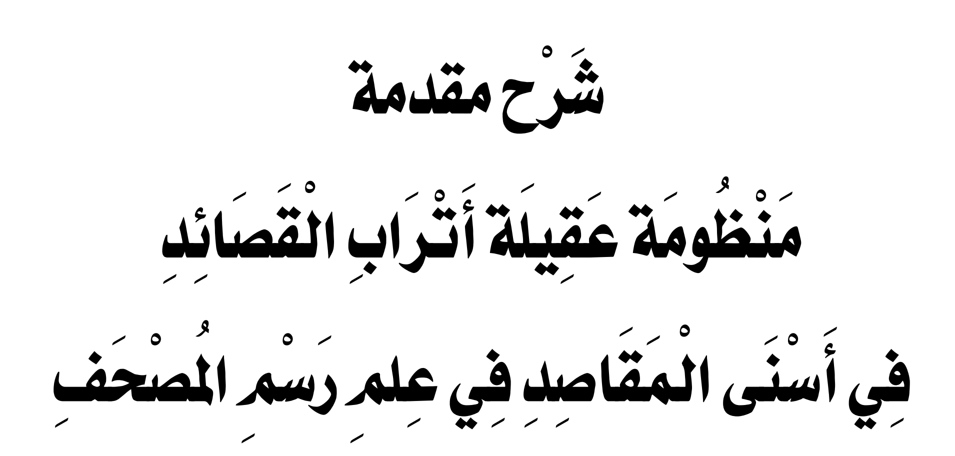


شَرْح مقدمة
مَنْظُومَة عَقِيلَة أَتْرَابِ الْقَصَائِدِ
فِي أَسْنَى الْمَقَاصِدِ فِي عِلمِ رَسْمِ الْمُصْحَفِ

نَظْمُ الْإِمَامِ

أَبِي مُحَمَّدٍ القَاسِمُ بنُ فِيْرُّه بنِ خَلَفِ بنِ أَحْمَدَ الرُّعَيْنِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ الشَّاطِبِيُّ

الْمُتَوَفَّي سَنَةَ (٥٩٠) هِجْرِيةِ

جمع وترتيب

عَبْدُ الرَّازِقِ مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ البَكْرِيّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِديهِ وَللمُسْلِمينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

١ الْحَمْدُ لِلهِ مَوْصُولاً كَمَا أَمَرَا مُبَارَكاً طَيِّباً يَسْتَنْزِلُ الدِّرَرَا

اللغة:

الْحَمْدُ لِلهِ: الوصف بالجميل والثناء به علىٰ المحمود ذي الفضائل والفواضل.

مَوْصُولاً: مستداماً من غير انقطاع.

كَمَا أَمَرَا: أي كما أمرنا الله بحمده.

يَسْتَنْزِلُ الدِّرَرَا: أي يستنزل الرزق والخير.

الدِّرَرَ جمع درة، والدرة: الدفعة الواحدة الكثيرة من المطر.

الشرح:

بدأ الشاطبي -رحمه الله- المنظومة بحمد الله تعالىٰ، مبيناً أنَّ الله تعالىٰ ينبغي أن يُحمد حمداً دائماً لا ينقطع أبداً، كما أمرنا بذلك فقال تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ الإسراء: ١١١، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ النمل: ٩٣.

والعبدُ كلما كان حامداً لربّه تعالىٰ كان ذلك سبباً في جلب الرزق والخير الكثير له، وعبَّر بالدرر عن الرزق، وكأنَّ الرزق ينزلُ علىٰ العبد كالدفعة الواحدة الكثيرة من المطر.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم: ٧.[١]

٢ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ وَالإِحْسَانِ خَالِقُنَا رَبُّ الْعِبَادِ هُوَ اللهُ الَّذِي قَهَرَا

اللغة:

الْفَضْلِ: الكرم والجود.

الْمَنِّ: الإنعام.

---

١ الحمد أعم من الشكر، فمن حمد الله تعالى فقد شكره وأثنى عليه، والفرق بينهما -كما قال أهل العلم-أن الحمد يكون على النعم وعلى غيرها، كأن تثني على شخص لحسن أخلاقه، وأما الشكر فلا يكون إلا عن يد أي نعمة وإحسان، فهذا هو الفرق بينهما، وقيل هما مترادفان، قال ابن منظور في اللسان :((والحمد والشكر متقاربان والحمد أَعمهما، لأَنك تحمد الإِنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته)). لسان العرب، (٣/ ١٥٦).

الإِحْسَانِ: الإنعام والإفضال.

رَبُّ الْعِبَادِ: مالكهم ومولاهم.

قَهَرَ: غلب.

ذُو الفَضْلِ: بالرفع علىٰ اعتبار أن هناك إضمار، كأنه قال: هو ذو الفضل، وإن أجراه بالخفض علىٰ إجراء ما قبله جاز.

الشرح:

أثنىٰ الناظمُ علىٰ ربّه تعالىٰ بما هو أهلٌ له؛ حيث أنه متفضلٌ علىٰ عباده، ممتنًا عليهم بالنعم، محسنًا إليهم بالنعم وغيرها. والله تعالىٰ خالق كل شيء، وربُّ العالمين: أي مالكهم ومولاهم وموجدهم من العدم.

والله تعالىٰ قاهر: أي غالب كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾ الأنعام: ١٨.

٣ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالْكَلَامُ لَـهُ فَرْدٌ[١] سَمِيعٌ بَصِيرٌ مَا أَرَادَ جَرَىٰ

اللغة:

مَا أَرَادَ جَرَىٰ: أي ما شاء كان.

الشرح:

جمع الناظم في هذا البيت صفات الله من صفاته تعالىٰ، وهي الحياة والعلم والقدرة والكلام، وكونه واحدٌ، سميع، بصير تبارك وتعالىٰ، ما شاء كان، وما لم يشأْ لم يكن، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ يس: ٨٢.

وَالْكَلَامُ لَـهُ: خلاصة مذهب أهل السنة أن الله تعالىٰ لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزل متكلمًا إذا شاء، والحروف والأصوات التي تكلم بها الله صفة له غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم.[٢]

٤ أَحْمَدُهُ وَهْوَ أَهْلُ الْحَمْدِ مُعْتَمِداً عَلَيْهِ مُعْتَصِمـًا بِهِ وَمُنْتَصِرَا

اللغة:

أَحْمَدُهُ: الله تعالىٰ أهل الحمد ومستحقه.

---

١ عبر عن (واحد) بقوله (فرد) لضرورة الوزن.

٢ كل صفة من هذه الصفات التي ذكرها الناظم تكلم عنها العلماء بالتفصيل في كتب الاعتقاد.

مُعْتَمِداً: الاعتماد هو الاتكاء علىٰ الشيء بكلية.

مُعْتَصِماً: الاعتصام بالله الإيمان به والتمسك بدينه. وقيل: الاعتصام طلب حفظ الله تعالىٰ للعبد ومنعه من المعاصي والشيطان.

مُنْتَصِرَا: طالب من الله الانتصار.

الشرح:

اعلم أن الله تعالىٰ هو أهل الحمد المستحق له، لأنه المُنعم بجميع النعم علىٰ خلقه، وينبغي علىٰ العبد أن يعتمد علىٰ الله تعالىٰ في كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، ولا سبيل للنجاة من الفتن، ومن عذاب الله، وشرور الخلق ومن كل بلاء وابتلاء إلا بالاعتصام به تعالىٰ، وطلب النصرة منه جلّ وعلا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ آل عمران: ١٠١، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣، وعلىٰ هذا النهج سار الشاطبي -رحمه الله- كما ذكر في البيت.

٥ ثُمَّ الصَّلاَةُ على مُحَمَّدٍ وَعلى أَشْيَاعِهِ أَبَداً تَنْدَىٰ نَدىٰ عَطِرَا

اللغة:

أَشْيَاعِهِ: أتباعه وأنصاره.

تَنْدَىٰ نَدىٰ عَطِرَا: أي تبتل بللاً طيب الرائحة.

الشرح:

بعد أن أثنىٰ الناظم -رحمه الله- علىٰ الله تعالىٰ بما هو أهلُه، وذكّرَّ القارئ بمداومة الحمد لله تعالىٰ، وثنىٰ بالصلاة علىٰ النبي محمد -ﷺ-.

والصلاة علىٰ النبي -ﷺ- لها فضل عظيم، أمرنا الله بها في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦.

ومن يصلي علىٰ النبي -ﷺ- يستحب له أن يُتبع ذلك بالصلاة علىٰ أتباعه وأنصاره، وصلاتنا علىٰ النبي -ﷺ- لا بُدَّ وأن تكون متواصلة وغير منقطعة، فهي شرف لكا مسلم ومسلمة، يزداد بها المؤمن تطيُبًا في الدنيا ورفعة في الآخرة.

تنبيه:

اختار كثير من العلماء في معنى الصلاة علىٰ النبي ﷺ، ما رواه البخاري عن أبي العالية الرِّياحيِّ وتبعه عليه كثير من المحققين من أهل العلم: ((صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة)). لأننا لو قلنا: "الصلاة من

الله الرحمة"، فكيف نقول في قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ البقرة: ١٥٧، هل نقول: عليهم رحمات من ربهم ورحمة؟، هذا خطأ؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، وقول البعض: "فلان صلىٰ الله عليه" فقد اختلف فيه العلماء، فهي تختص بالنبي -ﷺ-، وهي حق له ولآله، ولهذا منع كثير من العلماء من الصلاة على مُعين غيره، ولم يمنع أحد من الترحم على معين. ولأن رحمة الله عامة وسعت كل شيء، وصلاته خاصة بخواصِّ عباده. والله أعلم.[1]

ولو جمع بين الصلاة والسلام لكان أجود، لإن إفراده بالصلاة دون السلام عليه خلاف الأولى، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥٦.

٦ وَبَعْدُ فَالْمُسْتَعَانُ اللهُ فِي سَبَبٍ يَهْدِي إلى سَنَنِ الْمَرْسُومِ مُخْتَصَرَا

اللغة:

وَبَعْدُ: لفظٌ يُستخدم عند الدخول في موضوع الكلام، ويستحب الإتيان به في الخطب والمكاتبات اقتداءً برسول الله -ﷺ-.

سَنَنِ: الطريق.

سَبَبٍ: العلم.

الشرح:

لمّا عَلِمَ الناظم وتيقن أنه لا يتم لأحد مراده إلا بتوفيق الله تعالىٰ، طلب العون من الله عزَّ وجلَّ أن يوفقه إلىٰ نظمٍ مختصراً في علم رسم المصاحف.

٧ عِلْقٌ عَلَاقَتُهُ أَوْلَىٰ الْعَلَائِقِ إِذْ خَيْرُ الْقُرُونِ أَقَامُوا أَصْلَهُ وَزَرَا

اللغة:

عِلْقٌ: العلق هنا كناية عن رسم المصحف، وهو الشيء النفيس.

عَلَاقَتُهُ: صحبته والمحبة الشديدة.

العلائق: ما يتعلق به المرء من بضاعة ونحوها. وقوله أَوْلَىٰ الْعَلَائِقِ: أخص المحبات.

---

[1] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (٢٣/ ١٤٠)، فيض الباري على صحيح البخاري، (٥/ ٣٦٤)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، (٧/ ١٣٥)، بدائع الفوائد، ص(٣٨).

خَيْرُ الْقُرُونِ: هم قرن رسول الله -ﷺ-.[٢]

أَقَامُوا أَصْلَهُ: أي الرسم.

وَزَرَا: ملجأً يرجعون إليه.

الشرح:

علم رسم القرآن وكتابته علم نفيس من بين العلوم، وهو أولىٰ وأخص ما يتعلق به القارئ، ولا عجب؛ فإن خير القرون وهم قرن رسول الله -ﷺ-أقاموا أصله، لأنهم أول من كتب القرآن، وجعلوه للناس وَزَرَاً -ملجأً- يرجعون إليه.

٨ وَكُلُّ مَا فِيهِ مَشْهُورٌ بِسُنَّتِهِ وَلَمْ يُصِبْ مَنْ أَضَافَ الوَهْمَ وَالغِيَرَا

الشرح:

كل ما في المصحف مشهور غير خفي مستفيض بين الناس مأثور في السنة، وهو ردٌّ علىٰ الملاحدة الذين يقولون إن القران العظيم غيَّره الذين كتبوه وحرَّفوه عن هيئة إنزاله،[٣] فأضافوا ونسبوا الوهم والتغيير لكُتَّاب المصحف العثماني وهم السادة الأبرار.

٩ وَمَنْ رَوَىٰ سَتُقِيمُ الْعُرْبُ أَلْسُنُهَا لَحْنًا بِهِ قَولَ عُثْمانٍ فَمَا شُهِرَا

الشرح:

ومن روىٰ أن عثمان لَمَّا فُرِغَ مِنَ الْمُصْحَفِ أُتِيَ بِهِ فَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ: ((قَدْ أَحْسَنْتُمْ، وَأَجْمَلْتُمْ، أَرَىٰ فِيهِ شَيْئًا مِنْ لَحْنٍ سَتُقِيمُهُ الْعَرَبُ بِأَلْسِنَتِهَا)).[٤]

قال الداني: ((قلت: هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين: أحدهما أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه، وهو مرسل لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئًا ولا رأياه، وأيضـًا فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان -رضي الله عنه- لما فيه من الطعن عليه مع محلّه من الدين، ومكانه من الإسلام وشدّة اجتهاده في بذل النصيحة، فغير ممكن أن يتولىٰ لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأتقياء الأبرار ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم، ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنـًا وخطأً يتولىٰ

---

٢ في الحديث أنه -ﷺ- قال: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...)). رواه البخاري، ح(٣٦٥١).

٣ يقصد الشيعة ومن وافقهم في هذا القول.

٤ رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ح(١٠٤)، ورواه الداني بسنده عن عمران القطان به، المقنع، ص (١٢١)، وأورده الذهبي في السير، (٤/ ٤٤٢)، الذهبي في معرفة القراء الكبار، (١/ ٦٨)، والحديث إسناده منقطع. ينظر: المصاحف لابن أبي داود، ص(٢٢٨).

تغييره من يأتي بعده، ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده، هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله ولا يحل لأحد أن يعتقده)).[٥]

١٠ لَوْ صَحَّ لَاحْتَمَلَ الإِيمَاءَ فِي صُـوَرٍ فِيهِ كَلَحْنِ حَدِيثٍ يَنْثُرُ الدُّرَرَا

١١ وَقِيلَ مَعْنَاهُ فِي أَشْيَاءَ لَوْ قُرِئَتْ بِظَاهِرِ الخَطِّ لَا تَخْفَىٰ على الكُبَرَا

١٢ لَاَأوْضَعُوا وَجَزَاؤُا الظَّالمينَ لَأَاْذْ بَحَنَّهُ وَبِأَيِيْدٍ فَافْهَمِ الْخَبَرَا

اللغة:

لَا تَخْفَىٰ على الكُبَرَا: الكبار من أعيان العلماء.

الشرح:

قال الداني: ((فإن قال فما وجه ذلك عندك لو صحّ عن عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، **قلت**: وجهه أن يكون عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم، إذ كان كثير منه لو تُلي علىٰ رسمه لا نقلب بلك معنىٰ التلاوة وتغيرت ألفاظها ألا ترىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ التوبة:٤٧، ﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الحشر: ١٧، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ النمل: ٢١، ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ الذاريات: ٤٧، وشبهه، بحيث لو تلاه تالٍ لا معرفة له بحقيقة الرسم لزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله، فأتىٰ من اللحن بما لا خفاء به علىٰ من سمعه، فكأن عثمان أراد أن من فاته تمييز ذلك وعزبت معرفته عنه ممن يأتي بعده سيأخذ ذلك عن العرب، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيعرفونه بحقيقة تلاوته ويدلّونه علىٰ صواب رسمه، فهذا وجهٌ عندي، والله أعلم)).[٦]

وكلام الداني -رحمه الله- اختصره وأشار إليه الشاطبي في الأبيات ببيان أن من الناس من تأول اللحن في الحديث علىٰ تقدير القراءة بظاهر الخط -الرسم-، وضرب الأمثلة علىٰ ذلك كما ذكرها الداني، بحيث أنها لو قُرئت بظاهر الخط لانقلب بذلك معنىٰ التلاوة وتغيرت ألفاظها.

١٣ وَاعْلَمْ بِأَنَّ كِتَابَ اللهِ خُصَّ بِمَا تَاهَ البَرِيَّةُ عَنْ إِتْيَانِهِ ظُهَرَا

اللغة:

---

٥ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص(١١٩).

٦ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص(١١٩)، وما بعدها بتصرف في العبارة.

تَاهَ البَرِيَّةُ: حادوا وضلُّوا عن الطريق.

ظُهَرَا: متعاونين.

الشرح:

ذكر الشاطبي -رحمه الله- أنَّ الله تعالىٰ قد خص القرآن بما عجز البرية عن الإتيان بمثله، وذلك أن كتاب الله تعالىٰ منطوٍ علىٰ وجوه من الإعجاز كثيرة.

١٤ مَنْ قَالَ صَرْفَتُهُمْ مَعْ حَثِّ نُصْرَتِهِمْ وَفْرُ الدَّوَاعِي فَلَمْ يَسْتَنْصِرِ النُّصَرَا

الشرح:

قال البعض إن معجزة القرآن كانت في نظمه وبلاغته، والإعجاز أن صُرفوا عن الإتيان بمثله، مع أن دواعيهم المتوفرة علىٰ ذلك من المفترض أنها تحثهم علىٰ فعل ذلك ولكن كان الإعجاز أن صرفت هذه الدواعي.

والقول بالصُّرفة مذهب المعتزلة، قال النَّظَّام: ((فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم)).[٧]

ونبَّه الناظم -رحمه الله- علىٰ أن من قال بذلك -أي بالصُّرفة- لم يقم علىٰ قوله برهان قاطع، ويستنصر: أي: يجد من الأدلة نصيراً له علىٰ قوله هذا.

١٥ كَمْ مِنْ بَدَائِعَ لَمْ تُوْجَدْ بَلاغَتُهَا إِلَّا لَدَيْهِ وَكَمْ طُولَ الزَّمَانِ تُرَىٰ

الشرح:

قال الشاطبي -رحمه الله- كم من آية عظيمة لم توجد إلا في كتاب الله تعالىٰ، ولا تزال آيات القرآن وسوره تُقرأ وتُستعذب ولا تمل بالتكرار.

وقيل معنىٰ "تُرَىٰ": أي أن أهل الفصاحة والبلاغة علىٰ مر الأزمان لا يزالون يعثرون في هذا الكتاب العزيز علىٰ البدائع وأشياء ما سُبقوا إليها.

١٦ وَمَنْ يَقُلْ بِعُلُومِ الغَيْبِ مُعْجِزُهُ فَلَمْ تَرَىٰ عَيْنُهُ عَيْنًا وَلَا أَثَرَا

الشرح:

---

٧ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص(٢٢٥).

زعم قوم أن الإعجاز في كتاب الله تعالىٰ إنما هو في إخباره عن الغيوب، لا في نظمه وبلاغته، وهذا قول لبعض المعتزلة، فرد عليهم فقال:

١٧ إِنَّ الغُيُوبَ بِإِذْنِ اللهِ جَارِيَةٌ مَدَىٰ الزَّمَانِ على سُبْلٍ جَلَتْ سُوَرَا

الشرح:

إن الغيوب التي أخبر بها القرآن لم تقع كلها في زمن النبي -ﷺ-، وإنما هي جارية علىٰ طول الزمان.

على سُبْلٍ: أي علىٰ طرق. وتلك الطرق جلت -كشفت- لنا سوراً من القرآن، وتلك السور اشتملت علىٰ تلك الغيوب.

١٨ وَمَنْ يَقُلْ بِكَلَامِ اللهِ طَالَبَهُمْ لَمْ يَحْلُ فِي الْعِلْمِ وِرْداً لَا وَلَا صَدَرَا

الشرح:

كما زعم قومٌ أن معجزة القرآن هي عين الكلام القديم، قال القاضي أبو بكر الباقلاني[8]: ولا يصح ذلك لأن ذلك مطالبة بما لا يُطاق، وقائل ذلك لم يذق حلاوة العلم في صدره.

١٩ مَا لَا يُطَاقُ فَفِي تَعْيِينِ كُلْفَتِهِ وَجَائِزٍ وَوُقُوعٍ عُضْلَةُ البُصَرَا

اللغة:

العُضْلَةُ: الأشياء شديدة الامتناع، والعَضْل: المنع. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ ﴾ البقرة: ٢٣٢.

البُصَرَا: جمع بصير، وهو من له جودة فكر وحسن نظر.

الشرح:

ذهب الناظم إلىٰ أن مذهب أهل الحق أن الله تعالىٰ له تكليف العبد ما لا يطاق، بدليل أنه سبحانه كلف بالإيمان من عَلِمَ أنه لا يقع منه الايمان ابتداءً، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ البقرة: ٦، وقد انعقد الإجماع علىٰ أنهم مكلفون بالإيمان، وهذا ما ذهب إليه الشاطبي، أن جواز تكليف العبد ما لا يُطاق جائز عقلاً، وواقع شرعـًا.

---

٨ أبو بكر الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، المعروف بالباقلاني، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، صنف التصانيف الكثيرة المشهورة، وكان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، توفي آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، -رحمه الله-، وفيات الأعيان، (٤/ ٢٧٠).

وقال السخاوي: ((إنَّ البُصَراء –من العلماء– أعضلهم القول بذلك،[٩] لأنه تكليف بما لا يطاق، وأشار في شرحه علىٰ المنظومة إلىٰ ضعف ما ذهب إليه الشاطبي –رحمه الله–)).[١٠]

والصواب في المسألة هو التفصيل، أما إطلاق القول فيها فهو من البدع المحدثة كما نصَّ علىٰ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.[١١] فيقال: ((تكليف ما لا يطاق ينقسم إلىٰ قسمين:

أحدهما: ما لا يطاق للعجز عنه كتكليف الزمِن المشي، وتكليف الإنسان الطيران ونحو ذلك، فهذا غير واقع في الشريعة عند جماهير أهل السنة المثبتين للقدر.

الثاني: ما لا يطاق للاشتغال بضده، كاشتغال الكافر بالكفر، فإنه هو الذي صدّه عن الإيمان، وكالقاعد في حال قعوده فإن اشتغاله بالقعود يمنعه أن يكون قائماً، والإرادة الجازمة لأحد الضدين تنافي إرادة الضد الآخر وتكليف الكافر الإيمان من هذا الباب.

ومثل هذا ليس بقبيح عقلاً عند أحد من العقلاء، بل العقلاء متفقون علىٰ أمر الإنسان ونهيه بما لا يقدر عليه حال الأمر والنهي لاشتغاله بضده إذا أمكن أن يترك الضد ويفعل الضد المأمور به.

وهذا لا يدخل فيما لا يطاق، فإنه لا يقال للمستطيع المأمور بالحج إذا لم يحج إنه كلف بما لا يطيق، ولا يقال لمن أمر بالطهارة والصلاة فترك ذلك كسلاً أنه كُلِّفَ ما لا يطيق)).[١٢]

٢٠ للهِ دَرُّ الَّذِي تَأْلِيفُ مُعْجِزِهِ وَالانْتِصَارُ لَهُ قَدْ أَوْضَحَا الغُرَرَا

اللغة:

للهِ دَرُّ: لله درك، ولله دره: أي خيره، كلمة للمدح.

الغُرَرَا: جمع غرة، وهي البياض في وجوه الخيل وغرة كل شيء أفضله، وقيل أوله؛ لأنك تقول غرة شهر كذا.

الشرح:

---

٩ المعتزلة قالت بعدم جواز تكليف ما لا يطاق لأنه قبيح والله تعالى منزه عن فعل القبيح فلا يجوز صدوره منه، والأشاعرة قالوا بجواز تكليف ما لا يطاق به عقلاً وإن لم يقع في الشرع، وقد أجازوه عقلا بناء على نفيهم الحسن والقبيح العقليين. ينظر: المستصفى للغزالي، (١/ ٩٨)، المطالب العالية للرازي، (٩/ ٢٦٧، ٢٧١).

١٠ الوسيلة إلى كشف العقيلة، ص(٤٥).

١١ مجموع الفتاوى، (٨/ ٤٦٩)، درء تعارض العقل والنقل، (١/ ٦٥).

١٢ منهاج السنة، (٣/ ١٠٤)، درء تعارض العقل والنقل، (١/ ٦٥).

الممدوح في هذا البيت هو القاضي أبو بكر الباقلاني حيث أَلَّف كتابين عظيمين أحدهما هو (المُعْجِز)،[١٣] والأخر هو (الانتصار لنقل القرآن). وقد اشتمل كتاب الإعجاز علىٰ إيضاح أن إعجاز القرآن من ثلاثة أوجه:

- الإخبار عن الغيوب.
- النبي ﷺ كان أميًا.
- بديع النظم عجيب التأليف متناهٍ في البلاغة إلىٰ الحد الذي عُجز عنه.

وقد محا كتاب (الانتصار) آثار البدع والشبهات حول القرآن الكريم وقطع دابرها.

٢١ وَلَمْ يَزَلْ حِفْظُهُ فِي الصَّحابَةِ فِي عُلاَ حَياةِ رَسُولِ اللهِ مُبْتَدَرَا

اللغة:

عُلاَ: جمع عُلْيَا، وعليا الشيء: أوله.

مُبْتَدَرَا: بدَرت الشيء وابتدرتُه: إذا أسرعت إلىٰ أخذه.[١٤]

الشرح:

أراد الناظم بيان أن القرآن ما زال محفوظًا مشهوراً بين الصحابة في أول حياة رسول الله -ﷺ- فما بعد ذلك. وأنه اشتد التنافس بين الصحابة -رضي الله عنهم- في حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره، وتسابقوا إلىٰ مدارسته وتفسيره والعمل به، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل.

وكان رسول الله -ﷺ- يحثهم علىٰ ذلك، ويحرص علىٰ سماع تلاوتهم، فقد قال لأبي موسىٰ الأشعري: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)).[١٥]

واستمع -ﷺ- لتلاوة سالم مولىٰ أبي حذيفة -رضي الله عنه- فقال له: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ)).[١٦]

وقال لابن مسعود -رضي الله عنه-: ((اقْرَأْ عَلَيَّ)). قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: ((فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)). فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّىٰ بَلَغْتُ: [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلَاءِ شَهِيدًا] قَالَ: ((أَمْسِكْ)). فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.[١٧]

---

١٣ مطبوع باسم: إعجاز القرآن.

١٤ الوسيلة إلى كشف العقيلة، ص(٤٨).

١٥ رواه مسلم، ح(٧٩٣).

١٦ رواه الإمام أحمد، ح(٢٥٣٢٠).

وقال -ﷺ-: ((إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ)).[١٨]

والأخبار الكثيرة تشهد علىٰ عناية الصحابة -رضي الله عنهم- بالقرآن الكريم وتلاوته، وحفظه، وعلىٰ حثِّ الرسول -ﷺ- لأصحابه علىٰ ذلك.

فلا عجب أن يكثر عدد حفاظ القرآن من الصحابة، إذا حفظه في حياة الرسول -ﷺ- الجمُّ الغفير من الصحابة -رضي الله عنهم-.

٢٢ وَكُلَّ عَامٍ عَلىٰ جِبْرِيلَ يَعْرِضُهُ وَقِيلَ آخِرَ عَامٍ عَرْضَتَيْنِ قَرَا

الشرح:

أشار الناظم إلىٰ ما هو متواتراً ومشهوراً بين المسلمين من أن النبي -ﷺ- كان يعرض القرآن كل عام علىٰ جبريل، ثم عرضه علىٰ جبريل مرتين في العام الذي تُوفي فيه -ﷺ-.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)).[١٩]

وعن فاطمة -رضي الله عنها- قالت: ((إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي)).[٢٠]

٢٣ إِنَّ اليَمَامَةَ أَهْوَاهَا مُسَيْلِمَةُ الْـ ـكَذَّابُ فِي زَمَنِ الصِّدِّيقِ إِذْ خَسِرَا

٢٤ وَبَعْدَ بَأْسٍ شَدِيدٍ حَانَ مصْرَعُهُ وَكَانَ بَأْسًا على الْقُرَّاءِ مُسْتَعِرَا

٢٥ نَادَىٰ أَبَا بَكْرٍ الفَارُوقُ خِفْتُ على الْـ قُرَّاءِ فَادَّرِكِ القُرْآنَ مُسْتَطِرَا

٢٦ فَأَجْمَعُوا جَمْعَهُ فِي الصُّحْفِ وَاعْتَمَدُوا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْعَدْلَ الرِّضَىٰ نَظَرَا

---

١٧ رواه البخاري، ح(٤٥٨٣).

١٨ رواه البخاري، ح(٤٢٣٢).

١٩ رواه البخاري، ح(٦).

٢٠ رواه البخاري، ح(٣٦٢٤).

اللغة:

أَهْوَاهَا: أهلكها وأسقطها.

بَأْسٍ: قتال شديد.

مُسْتَعِرًا: لفظة تستعملها العرب في شدة الحرب، استعرت: إذا وقدت واشتدت.

مُسْتَطِرًا: مكتوبـًا.

خِفْتُ على الْقُرَّاءِ: ما تبقىٰ منهم.

فَادَّرِكِ: تدارك.

الشرح:

بعد أن تولىٰ أبو بكر -رضي الله عنه- إمارة المسلمين واجهته أحداث جسيمة؛ خاصة ما كان من قبل أهل الردة،[٢١] وما دار بعد ذلك من حروب طاحنة ومعارك عنيفة، من أخطرها ما كان في موقعة اليمامة،[٢٢] حيث استشهد فيها عدد كبير من الصحابة، منهم أكثر من سبعين من قراء الصحابة، فاشتد ذلك علىٰ الصحابة، ولا سيما عمر -رضي الله عنه-، فاقترح علىٰ أبي بكر -رضي الله عنه- أن يجمع القرآن، خشية ضياعه بموت الحُفاظ وقتل القراء، فتردد أبو بكر أول الأمر، ثم شرح اللهُ صدره لما شرح له صدر عمر -رضي الله عنه-، فكان هو أول من جمع القرآن بين اللوحين -رضي الله عنه-.

روىٰ البخاري في صحيحه عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ -رضي الله عنه- وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الوَحْيَ، قال: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ،

---

٢١ حروب الردِّة: بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ارتدت كل الجزيرة عن الإسلام، ما عدا مكة والمدينة والطائف، فقسم من المرتدين عادوا إلى الكفر واتباع مدّعي النبوة، وقسم امتنعوا فقط عن دفع الزكاة، فأشار الصحابة بعدم قتالهم نظراً للظروف الحرجة، ولخروج جيش أسامة بن زيد فرفض أبو بكر بكل شدة، بمجرد أن شيَّع أبو بكر جيش أسامة جعل الصحابة على منافذ المدينة لحراستها، وأمر المسلمين بالتواجد في المسجد للطوارئ خوفـًا من مهاجمة المدينة، وحصلت غارة فردوها، وكان يخرج بنفسه إلى المنافذ.

وعقد أبو بكر إحدى عشر لواءً لقتال المرتدين في كل الجزيرة، وانطلق خالد وقاتل أسد وغطفان وعامر، وكان يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي (مدعي النبوة)، فالتقاهم خالد عند بئر بُزاخة، فنكَّل بهم، حتى انهزموا وتابوا. ثم سار إلى منازل بني يربوع وبني تميم بالبطاح، وقد تنبأت فيهم سجاح، وقاتلهم، فقتل قائدهم مالك بن نويرة وأخضعهم. موجز التاريخ الإسلامي، ص(١٠١).

٢٢ معركة اليمامة (١١هـ/ ٦٣٢م)، سارت الجيوش التي تحارب المرتدين إلى بني حنيفة في اليمامة، وقد تنبأ فيهم مسيلمة الكذاب، ونشب قتال ضاري. وانتصر المسلمون أخيراً. وقتل مسيلمة، وتاب القوم وعادوا إلى الإسلام، وقد استشهد في المعركة عدد كبير من الصحابة، من حملة القرآن. وهذا ما حمل أبو بكر فيما بعد إلى التفكير في جمع القرآن بين دفتي مصحف. موجز التاريخ الإسلامي، ص(١٠١).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ -ﷺ-: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ[٢٣] يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-؟» قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، «فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَىٰ عُمَرُ»، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، «فَوَ اللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ»، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-؟»، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّىٰ وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ التوبة: ١٢٨ -١٢٩، حَتَّىٰ خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ -ﷺ-».[٢٤]

٢٧ فَقَامَ فِيهِ بِعَوْنِ اللهِ يَجْمَعُهُ بِالنُّصْحِ وَالْجِدِّ وَالحَزْمِ الَّذِي بَهَرَا

الشرح:

أشار الناظم إلىٰ أن زيد بن ثابت -ﷺ- حينما شرح الله صدره باشر الأمر علىٰ الفور، وبدأ بجمع القرآن الكريم، ووضع خطة اعتمد عليها في تنفيذ تلك المهمة الثقيلة، حيث جعل عملية الجمع تعتمد علىٰ مصدرين أساسيين، وهما:

(١) ما كُتب أمام الرسول -ﷺ- وبإملاء منه، وكان زيدٌ -ﷺ- من كُتَّاب الوحي.

(٢) ما كان محفوظًا لدىٰ الصحابة، وكان هو من حفاظه في حياته -ﷺ-.

وكان -ﷺ- لا يقبل شيئًا من المكتوب، حتىٰ يتيقن أنه:

---

٢٣ اشتد وكثر، لسان العرب، (٤/ ١٧٩).

٢٤ رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٤٧٠١). قَوْلُهُ: ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَر، أَيْ بَعْدَ عُمَرَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ إِلَى أَنْ شَرَعَ عُثْمَانُ فِي كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ حَفْصَةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ وَصِيَّةَ عُمَرَ، فَاسْتَمَرَّ مَا كَانَ عِنْدَهُ عِنْدَهَا حَتَّى طَلَبَهُ مِنْهَا مَنْ لَهُ طَلَبُ ذَلِك. فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩/ ١٦).

أ – مما كُتب بين يدي الرسول -ﷺ-، وذلك بشهادة شاهدين عدلين.

ب – أنه مما ثبت في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته.

فقد أخرج ابن أبي داود من طريق يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قَدِمَ عمرُ، فقال: «مَنْ كَانَ تَلَقَّىٰ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِنَا بِهِ، وَكَانُوا كَتَبُوا ذَلِكَ فِي الصُّحُفِ وَالْأَلْوَاحِ وَالْعُسُبِ، وَكَانَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا حَتَّىٰ يَشْهَدَ شَهِيدَانِ».[٢٥]

٢٨ مِنْ كُلِّ أَوْجُهِهِ حَتَّىٰ اسْتَتَمَّ لَهُ بِالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الْعُلْيَا كَمَا اشْتَهَرَا

اللغة:

بِالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الْعُلْيَا: أراد الأحرف التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ رسول الله -ﷺ- احترازاً عن الأحرف السبعة التي يتداولها الناس اليوم.

كَمَا اشْتَهَرَا: كان القرآن مشهوراً ومقروءاً في ذلك الزمان بتلك الأحرف السبعة.

الشرح:

المقصود أن جمع القرآن تم بمراعاة الأحرف السبعة التي نزل بها علىٰ رسول الله -ﷺ-.

٢٩ فَأَمْسَكَ الصُّحُفَ الصِّدِّيقُ ثُمَّ إلى الْـ فَارُوقِ أَسْلَمَهَا لَمَّا قَضَىٰ العُمُرَا

٣٠ وَعِنْدَ حَفْصَةَ كَانَتْ بَعْدُ فَاخْتَلَفَ الْـ قُرَّاءُ فَاعْتَزَلُوا فِي أَحْرُفٍ زُمَرَا

اللغة:

زُمَرَا: جماعة من الناس كلٌ يرىٰ قراءته خير من الأخر.

الشرح:

أشار الناظم أن الصديق -رضي الله عنه- احتفظ بالصحف التي جمع فيها زيد -رضي الله عنه- القرآن الكريم، ثم أسلمها لعمر -رضي الله عنه- لما حضرته الوفاة، ثم لما قُتلَ عمر كانت عند حفصة إلىٰ أن جُمعَ القرآن مرة أخرىٰ في عهد عثمان -رضي الله عنه-.

قال ابن شهاب عَنْ سَالِمٍ، وَخَارِجَةَ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي قَرَاطِيسَ وَكَانَ قَدْ سَأَلَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ، فَأَبَىٰ حَتَّىٰ اسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِعُمَرَ فَفَعَلَ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ، ثُمَّ كَانَتْ عِنْدَ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا عُثْمَانُ فَأَبَتْ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَيْهِ

---

٢٥ كتاب المصاحف، ص(٦٢).

حَتَّىٰ عَاهَدَهَا لَيَرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا، فَبَعَثَتْ بِهَا إِلَيْهِ فَنَسَخَهَا عُثْمَانُ فِي هَذِهِ الْمَصَاحِفِ ثُمَّ رَدَّهَا إِلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهَا حَتَّىٰ أَرْسَلَ مَرْوَانُ فَأَخَذَهَا فَحَرَّقَهَا».[٢٦]

٣١ وَكَانَ فِي بَعْضِ مَغْزَاهُمْ مُشَاهِدَهُمْ حُذَيْفَةٌ فَرَأَىٰ مِنْ خُلْفِهِمْ عِبَرَا

٣٢ فَجَاءَ عُثْمَانَ مَذْعُورَاً فَقَالَ لَهُ أَخَافُ أَنْ يَخْلِطُوا فَأَدْرِكِ البَشَرَا

٣٣ فَاسْتَحْضَرَ الصُّحُفَ الأُولَىٰ الَّتِي جُمِعَتْ وَخَصَّ زَيْداً وَمِنْ قُرَيْشِهِ نَفَرَا

٣٤ على لِسَانِ قُرَيْشٍ فَاكْتُبُوهُ كَمَا على الرَّسُولِ بِهِ إِنْزَالُهُ انْتَشَرَا

٣٥ فَجَرَّدُوهُ كَمَا يَهْوَىٰ كِتَابَتَهُ مَا فِيهِ شَكْلٌ وَلَا نَقْطٌ فَيَحْتَجِرَا

اللغة:

مَغْزَاهُمْ: في غزو أرمينية.

وَخَصَّ: من التخصيص.

قُرَيْشِهِ: الهاء عائدة علىٰ عثمان -رضي الله عنه-.

لِسَانِ قُرَيْشٍ: لغة قريش.

على الرَّسُولِ بِهِ: الهاء تعود علىٰ لسان قريش.

فَيَحْتَجِرَا: أي يمتنع القراء من التصرف في القرآن، والمعني أنه تركه بدون نقط ولا شكل حتىٰ يتصرف القراء فيه بالرفع والنصب والتذكير والتأنيث ونحوه.

كَمَا يَهْوَىٰ كِتَابَتَهُ: أي كما أراد وأحب عثمان، لأنه أحب أن يجمع الناس علىٰ حرف واحد ليرتفع الاختلاف.

الشرح:

أشار الناظم في هذه الأبيات إلىٰ سبب جمع القرآن في عهد عثمان -رضي الله عنه- والمنهج المُتبع في هذا الجمع.

---

٢٦ رواه أبو داود في كتاب المصاحف، ص(٥٧). قال محقق الكتاب الشيخ محب الدين واعظ: إسناده رجاله ثقات، لكن سالمًا وخارجة لم يسمعا من أبي بكر الصديق ولم يدركا عهده؛ فيكون الإسناد منقطعًا، كتاب المصاحف، (١/ ١٦٩).

ولقد ثبت من خلال الروايات والآثار أنَّ الباعث الأساسي لجمع القرآن الكريم في عهد عثمان -رضي الله عنه- هو استدراك اختلاف القراء في وجوه قراءة القرآن الكريم، وتخطئة بعضهم البعض، فأراد -رضي الله عنه- جمع الأمة علىٰ مصحف موحد مجمع عليه.

روىٰ الإمام البخاري في صحيحه عن ابن شهاب أن أنس بن مالكٍ -رضي الله عنه- حدَّثه: «أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ على عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ[٢٧] وَأَذْرَبِيجَانَ[٢٨] مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ. فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إلى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ. فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إلى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ».[٢٩]

وتشكلت اللجنة التي كُلِّفت بجمع القرآن من أربعة من الصحابة هم: زيد بن ثابت -رضي الله عنه- من الأنصار، وعبد الله بن الزبير بن العوام،[٣٠] وسعيد بن العاص،[٣١] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام -رضي الله عنهم-،[٣٢] والثلاثة من قريش، هؤلاء الأربعة الذين شكَّل عثمان -رضي الله عنه- اللجنة منهم، وعهد إليهم تنفيذ قرار نسخ المصاحف، وهو ما ذهب إليه الجمهور.

ولا يمنع هذا التحديد لعدد اللجنة المُكلفة بالجمع من وجود بعض من ساعدهم وعاونهم في عملية الجمع، والله أعلم.

---

٢٧ اسم لصُقع عظيم في جهة الشمال، قيل هما إرمينيتان، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقد أطال الحموي في وصفها، وكانت هي بأيدي الروم حتى جاء الإسلام. معجم البلدان، معجم البلدان، (١ / ١٥٩).

٢٨ ذكر الحموي في ضبطها أربعة أقوال: أَذَرَبيجان، أَذَرْبيجان، آذرْبيجَان، وآذِربيجَان، معناها: بيت النار بالفارسية، أو خازن النار، فتحت أيام عمر بن الخطاب، فولى عليها الحذيفة بن اليمان، ثم عزله وولى عليها عتبة بن فرقد، ثم لما عزل عثمان بن عفان عتبة بن فرقد نقضوا، فغزاهم الوليد بن عقبة سنة خمس وعشرين، ثم صالح أهلها على صلح حذيفة. معجم البلدان، (١/ ١٢٨).

٢٩ رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٤٦٠٤).

٣٠ عَبْد اللَّهِ بْن الزبير بْن العوام، وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين، فحنكه رَسُول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بتمرة لاكها في فيه، ثم حنكه بها، فكان ريق رَسُول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أول شيء دخل جوفه، وكان صوامًا قواما، طويل الصلاة، عظيم الشجاعة. أسد الغابة، (٣/ ١٣٨).

٣١ سَعِيد بْن العاص بْن أمية بْن القرشي الأموي، ولد عام الهجرة، كان هذا سَعِيد من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم، غزا طبرستان فافتتحها، وغزا جرجان فافتتحها، وتوفي سنة تسع وخمسين. أسد الغابة،(٢/ ٢٣٩).

٣٢ عَبْد الرَّحْمَن بْن الحارث بْن هِشَام بْن المغيرة الْقُرَشِيّ المخزومي، كَانَ مِنْ فضلاء المسلمين وخيارهم علمًا ودينًا وعلو قدر، توفي عَبْد الرَّحْمَن فِي خلافة معاوية. أسد الغابة، (٢/ ٣٢٧).

بعد أن تم تشكيل اللجنة المنوط إليها عملية جمع القرآن من قِبلِ أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- تم وضع منهج متميز لا التباس فيه للقيام بهذه المهمة علىٰ أكمل وجه علىٰ النحو التالي:

أولاً: بيّنَ لهم عثمان -رضي الله عنه- أن المرجع حال الاختلاف في رسم كلمة من كلمات القرآن أن تكتب بلغة قريش، فعند البخاري عن أنسٍ بن مالك -رضي الله عنه- أنَّ عثمان قال لهم: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ،[٣٣] فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ».[٣٤]

وعند الترمذي قال الزهري: «فَاخْتَلَفُوا يَوْمَئِذٍ فِي التَّابُوتِ وَالتَّابُوهِ، فَقَالَ الْقُرَشِيُّونَ: «التَّابُوتُ»، وَقَالَ زَيْدٌ: التَّابُوهُ فَرُفِعَ اخْتِلاَفُهُمْ إلى عُثْمَانَ، فَقَالَ: اكْتُبُوهُ «التَّابُوتُ» فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ».[٣٥]

ثانياً: لم يترك عثمان بن عفان -رضي الله عنه- متابعة اللجنة، وإنما كان يقوم بالإشراف المباشر علىٰ عملية الجمع، ويتفقد اللجنة باستمرار، فعن كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ أنه قال: «وَكَانَ عُثْمَانُ يَتَعَاهَدُهُمْ، فَكَانُوا إِذَا تَدَارَءُوا فِي شَيْءٍ أَخَّرُوهُ».[٣٦]

ثالثاً: كانت اللجنة ترجع إلىٰ الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته، فقد أخرج البخاري أن ابن الزبير -رضي الله عنه- قال: «قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٠، قَالَ: قَدْ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَىٰ، فَلِمَ تَكْتُبُهَا أَوْ تَدَعُهَا؟ قَالَ: (وفي روايةٍ: فلم تَكْتُبُها؟ قال: تَدَعُها) يَا ابْنَ أَخِي، لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ».[٣٧]

رابعاً: كانت اللجنة تستوثق مما يكتبونه، خاصة فيما تعددت فيه أوجه القراءة، حيث كانوا يسألون مشاهير الصحابة عن كيفية القراءة به، لا عن قرآنيته، فإن ذلك عُرفَ في جمع أبي بكر -رضي الله عنه-، لأن عثمان -رضي الله عنه- أراد أن تكتب المصاحف في مجموعها علىٰ جميع القراءات التي قرأها الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ليقضي علىٰ الفتنة التي حدثت بين المسلمين، بسبب جهلهم هذه القراءات.

خامساً: تجريد المصاحف كلها من النقط والشكل من أولها إلىٰ آخرها.

---

٣٣ أي في كيفية كتابته ورسمه، كما يدل عليه لفظ: (فاكتبوه).

٣٤ رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٤٦٠٤). نزل بلسانهم: أي بلغتهم ولهجتهم. ينظر: صحيح البخاري، تعليق الدكتور: مصطفى البُغا، (٤/ ١٨٠).

٣٥ رواه الترمذي في سننه، حديث رقم (٣٠٢٩). صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، (٦/ ٤٧٥).

٣٦ كتاب المصاحف، ص(١٠٤).

٣٧ سبق تخريجه.

قال السخاوي: ((لم أضاف عثمان هؤلاء النفر إلىٰ زيد ولم يفعل ذلك أبو بكر؟ **الجواب**: لأنه غرض الصديق كان جمع القران بجميع أحرفه ووجوهه التي نزل بها، وذلك علىٰ لغة قريش وغيرها. وكان غرض عثمان تجريد لغة قريش من تلك القراءات، فجمع أبي بكر غير جمع عثمان)).[٣٨]

٣٦ وَسَارَ فِي نُسَخٍ مِنْهَا مَعَ الْمَدَنِي ... كُوفٍ وَشَامٍ وَبَصْرٍ تَمْلأُ البَصَرَا

٣٧ وَقِيلَ مَكَّةُ وَالْبَحْرَيْنُ مَعْ يَمَنٍ ... ضَاعَتْ بها نُسَخٌ فِي نَشْرِهَا قُطُرَا

اللغة:

تَمْلأُ البَصَرَا: كان كل مصحف منها في غاية الكبر تعظيماً له.

ضَاعَتْ بها نُسَخٌ: أراد أن يقول مكة والبحرين واليمن فاحت بها نسخ في نشرها العود، وقد يكون ضَاعَتْ أي ذهبت وانتقلت ولا يوجد لها أثر.

نَشْرِهَا: الرائحة الطيبة.

قُطُرَا: القطر بضم القاف والطاء العود، والمعنىٰ: كأنها قد نشرت في تلك المواضع عوداً، أي: بثته.

الشرح:

بعد أن تمت عملية نسخ المصاحف العثمانية، أمرَ أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بإرسالها إلىٰ الأقطار الإسلامية، ثم أمر أن يحرق كل ما عداها من الصحف أو المصاحف الشخصية الموجودة لدىٰ الصحابة مما تخالفها، ليستأصل بذلك سبب الخلاف والنزاع بين المسلمين في قراءة كتاب الله تعالىٰ.

وقد ذهب الإمام أبو عمرو الداني إلىٰ أن هذه النسخ **أربعة**، حيث قال: ((أكثر العلماء علىٰ أن عثمان لما كتب المصاحف جعلها علىٰ أربع نسخ، وبعث إلىٰ كل ناحية واحداً: الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحدًا عنده. وقد قيل إنه جعله سبع نسخ، ووجّه من ذلك أيضـاً نسخة إلىٰ مكة ونسخة إلىٰ اليمن ونسخة إلىٰ البحرين، والأول أصح وعليه الأئمة)).[٣٩]

---

٣٨ الوسيلة إلى كشف العقيلة، ص(٦٩).

٣٩ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص(١٩). وقد ذكر العلماء أقوالاً أخرى في المسألة: فقد قيل إنها ثمان نسخ، ذكره ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص(٨)، وذهب ابن حجر إلى أنها خمسة، فتح الباري، (٩/ ٢٠)، ويذكر البعض أن هناك نسخة سادسة، وهي التي جعلها عثمان لزيد بن ثابت يُقرئ بها أهل المدينة، ويلاحظ أن هذه الأمصار التي ذهبت إليها النسخ هي التي خرج منها القراء، وهي التي اعتُمد عليها في عد الآي. ويمكن الجمع بين كلام الداني وابن حجر ومن وافقه أنها خمسة نسخ، بأن عثمان نسخها أربع نسخ بخلاف تلك النسخة التي احتفظ بها لنفسه، ويكون مقصود الداني بقوله: أربع نسخ، أي التي خرجت للأماكن المذكورة ومنها نسخة المدينة، ولذلك قال

ولا يمنع هذا أن يكون لأهل مكة مصحفًا، ويُقوي ذلك أن علماء الرسم كانوا ينقلون عن المصحف المكي، أما في كتب الرسم فلا توجد أي حكاية عن مصحف البحرين أو اليمن، ولا يمنع هذا أيضـًا أن يكون لها نسخ ولكن ضاعت.

٣٨ وَقَالَ مَالِكٌ الْقُرْآنُ يُكْتَبُ بِالْـ ـكِتَابِ الاوَّلِ لَا مُسْتَحْدَثًا سُطِرَا

اللغة:

الـكِتَابِ الاوَّلِ: أي أن المصحف يكتب علىٰ الكتاب الأول، يريد الكتابة الأولى في عهد عثمان -رضي الله عنه-.

مُسْتَحْدَثًا: أي لا يكتب كَتْبًا مستحدثًا.

الشرح:

تعرض الإمام الشاطبي في هذا البيت لمسألة مهمة جداً؛ ألا وهي التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف. ولقد تعددت أقوال العلماء في حكم التزام الرسم العثماني في كتابة وطباعة المصحف، وتعرض الناظم لبيان أقوىٰ هذه الأقوال وأشهرها وهي **وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف، سواء كان الرسم توقيفيـًا، أو اصطلاحيـًا**، ومن أشهر من قال بذلك هو الإمام **مالك بن أنس** -رحمه الله-.

ودليل ذلك ما رواه أبو عمرو الداني: أن الإمام مالك -رحمه الله- سُئل: ((أرأيت من استكتب مصحفـًا، أرأيت أن يكتب علىٰ ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم، فقال لا أرىٰ ذلك، ولكن يكتب علىٰ الكتبة الأولىٰ)).[40]

قال أبو عمرو الداني تعقيبـًا علىٰ قول الإمام مالك: ((ولا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة)).[41]

قال السخاوي: ((ما ذهب إليه مالك هو الحق، إذ فيه بقاء الحالة الأولىٰ إلىٰ أن تعلمها الطبقة الأخرىٰ بعد الأخرىٰ، ولا شك أن هذا هو الأحرىٰ، إذ في خلاف ذلك تجهيل بأولية ما في الطبقة الأولىٰ)).[42]

٣٩ وَقَالَ مُصْحَفُ عُثْمَانٍ تَغَيَّبَ لَمْ نَجِدْ لَهُ بَيْنَ أَشْيَاخِ الْهُدَىٰ خَبَرَا

اللغة:

السخاوي: ((وما المانع أن يكون عثمان اتخذ لنفسه مصحفـًا وجعل لأهل المدينة مصحفـًا؟ وهذا هو الظاهر، لأنه لم يكن لِيجعل للناس إمامـًا يقتدون به، ثم يختص هو به دونهم)). ينظر: شرح مقدمة التسهيل لابن جزي، ص(٤٤)، بتصرف. الوسيلة، ص(٨٣).

٤٠ رواه أبو عمرو الداني في المقنع، ص(١١). ويفهم من هذا أن الأمة في القرنين الأولين أدركت مخالفة الرسم العثماني لقواعد كتاباتهم، ورغبوا في كتابة المصاحف على القواعد الكتابية، فاستفتوا الإمام مالك، فلم يفتهم بجواز ذلك، فامتثلوا وأطاعوا.

٤١ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص(١٩). وهو يقصد بذلك أنه لا مخالف له في ذلك؛ أي في عصر الإمام مالك، وفي زمن الداني.

٤٢ الوسيلة إلى شرح العقيلة، (١/ ٨٠).

وَقَالَ: أي الإمام مالك.

أَشْيَاخِ الْهُدَىٰ: الذين يُقتدىٰ بهم في الدين ويعمل بنقلهم ورواياتهم.

مُصْحَفُ عُثْمَانٍ: أي النسخة التي احتفظ بها عثمان لنفسه وكان يقرأ منها، واستشهد -رضي الله عنه- وهي بين يديه.

الشرح:

أشار الناظم إلىٰ أن المصحف الذي اتخذه عثمان لنفسه وكان يقرأ منه لا يُعرف له آثر عند أهل العلم الأثبات ونسب ذلك القول للإمام مالك، وهذا حسْب ما جاءه -الإمام مالك- عن أهل العلم في زمنه.

٤٠ أَبُو عُبَيْدٍ أُولُوا بَعْضِ الْخَزَائِنِ لِي اسْتَخْرَجُوهُ فَأَبْصَرْتُ الدِّمَا أَثَرَا

اللغة:

أُولُوا بَعْضِ الْخَزَائِنِ: يقال إن هذا الأمير هو والي أنطرسوس،[٤٣] والله أعلم.[٤٤]

الشرح:

وردَ عن أبي عبيد القاسم بن سلَّام[٤٥] -رحمه الله- أن بعض الأمراء استخرج له من خزائنه مصحف عثمان وبه أثر دمائه -رضي الله عنه-، خاصة في سورة النجم، والبقرة عند قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ البقرة: ١٣٧.

وقد ذكَرَ هذا الخبر عن أبي عبيد كُلاً من: الداني،[٤٦] السخاوي،[٤٧] ابن الجزري.[٤٨] وأبو عبيد ذكر هذا الكلام في كتابه **(القراءات)**[٤٩].

٤١ وَرَدَّهُ وَلَدُ النَّحَاسِ مُعْتَمِدًا مَا قَبْلَهُ وَأَبَاهُ مُنْصِفٌ نَظَرَا

---

٤٣ أنطرسوس بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص، فتحها عبادة بن الصامت سنة (١٧هـ) بعد فتح اللاذقية. معجم البلدان (١/ ٢٧٠).

٤٤ تاريخ ابن عساكر، (٣٩/ ٤١٤). قال صاحب (نثر المرجان في رسم نظم القرآن): ((قد أخبرني بعض من أثق به أن المصحف المذكور موجود في المدينة المنورة في الروضة المباركة)). ينظر: نثر المرجان في رسم نظم القرآن، (١/ ١٧).

٤٥ القاسم بن سلَّام أبو عبيد الخراساني الأنصاري، الإمام الكبير، أحد الأعلام المجتهدين، صاحب التصانيف، قال الداني: إمام أهل دهره في جميع العلوم، صاحب سُنة ثقة. توفي سنة أربع وعشرين ومائتين في المحرم بمكة، عن ثلاث وسبعين سنة. غاية النهاية، (٢/ ١٧).

٤٦ المقنع، ص(٢٣).

٤٧ الوسيلة إلى شرح العقيلة، ص(٨٢).

٤٨ النشر في القراءات العشر، (٢/ ١٥٠).

٤٩ كتاب القراءات لأبي عبيد، كتاب جليل في بابه لم يصل إلينا، وتظهر أهميته من خلال ما نُقل عنه في بعض المصنفات التي وصلت إلينا. الوسيلة إلى شرح العقيلة، هامش، ص(٨٢).

٤٢ إِذْ لَمْ يَقُلْ مَالِكٌ لَاحَتْ مَهَالِكُهُ ... مَا لَا يَفُوتُ فَيُرْجَىٰ طَالَ أَوْ قَصُرَا

الشرح:

ردَّ أبو جعفر النحاس[١] ما قاله أبو عبيد من كونه اطلع علىٰ مصحف عثمان -ﷺ-، وأن بعض الأمراء استخرجه له، معتمداً في ذلك علىٰ قول الإمام مالك أنه تغيب، ولا أثر له كما سبق بيانه.

وهذا القول من أبي جعفر ليس بالصواب، لأنه ليس في قول مالك أن مصحف عثمان تغيب ما يدل علىٰ عدم المصحف البتة، وأن الغائب يرجي وجوده طال زمان غيبته أو قصر، كالمسافر الذي لم يقطع بموته.[٢]

بموته.[٢]

٤٣ وَبَيْنَ نَافِعِهِمْ فِي رَسْمِهِمْ وَأَبِي ... عُبَيْدٍ الْخُلْفُ فِي بَعْضِ الَّذِي أَثَرَا

اللغة:

فِي بَعْضِ الَّذِي أَثَرَا: أي في بعض الذي ذكراه ورويا‌ه.

الشرح:

أشار الناظم -رحمه الله- أن هناك خلافًا وقع بين نافع[٣] وبين أبي عبيد في الرسم، وهذا الخلاف في مواضع يسيرة، ربما حصل لأبي عبيد وهمُ فيها؛ كما سيأتي أثناء شرح المتن بأمر الله تعالىٰ. وذلك لأن نافعًا وُلد بالمدينة وأقرأ الناس بها القراءات، وكان مصحف أهل المدينة لايزال عنده، فبكثرة مطالعته له ومواظبته إيّاه تصور في خلده، فلم تؤخذ حقيقة الرسم إلا عن نافع، وأبو عبيد إنما رأىٰ المصحف مرة واحدة، وتصفحه ورقة ورقة، فمن بقي عمره ينظر في مصحف ليس كمن رآه يومًا أو يومين. فكان أبو عبيد ربما توهم في النقل فكان هذا سبب الاختلاف فاعلمه.[٤]

٤٤ وَلَا تَعَارُضَ مَعْ حُسْنِ الظُّنُونِ فَطِبْ ... صَدْراً رَحِيبًا بِمَا عَنْ كُلِّهِمْ صَدَرَا

الشرح:

---

١ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المراديّ أبو جعفر النحّاس النحويّ المصريّ، سمع من الزجّاج، وأخذ عنه النحو وأكثر، له مصنّفات كثيرة؛ منها كتاب الإعراب، وكتاب المعاني، توفّي بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة. إنباه الرواة على أنباه النحاة، (١/ ١٣٦).

٢ الوسيلة، ص(٨٣).

٣ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم، أحد القراء السبعة والأعلام ثقة صالح، أخذ القراءة عرضًا عن جماعة من تابعي أهل المدينة، عالمًا بوجوه القراءات تُوفي سنة تسع وستين ومائة. غاية النهاية في طبقات القراء، (٢/ ٣٣٠).

٤ الدرة الصقيلة في شرح العقيلة، ص(٢٢٤).

نفي الشاطبي -رحمه الله- التعارض، لأن المصاحف عدة، وإنما تقع المعارضة لو نقلا من مصحف واحد، فكل حكي ما رآه.

قال السخاوي: ((اختلاف هذين الإمامين مع ما هما عليه من العدالة والإتقان والضبط، يدل علىٰ أن المصحف الذي رآه أحدهما غير الذي رآه الآخر. وما المانع أن يكون عثمان اتخذ لنفسه مصحفاً وجعل لأهل المدينة مصحفاً؟ وهذا هو الظاهر، لأنه لم يكن لِيجعل للناس إماماً يقتدون به، ثم يختص هو به دونهم)).[١]

٤٥ وَهَاكَ نَظْمَ الَّذِي فِي مُقْنِعٍ عَنَ ابي عَمْرٍو وَفِيهِ زِيَادَاتٌ فَطِبْ عُمُرَا

اللغة:

هَاكَ: خذ.

زِيَادَاتٌ: علىٰ ما في المقنع.

الشرح:

أشار الناظم إلىٰ أنه جمع في هذه المنظومة ما في كتاب (المقنع)[٢] لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني[٣] في معرفة مرسوم المصاحف المتفق عليه والمختلف فيه، وفي هذا النظم زيادات علىٰ ما في المقنع، فَطِبْ عُمُرَا: أي من أجل تلك الزيادات، لأن النفوس تطيب بالزيادات.

والزيادات من الإمام الشاطبي علىٰ ما في المقنع ليست بالكثيرة فإنها لا تتجاوز العشر كلمات، ولكن ينبغي أن نعلم أن الشاطبي أنقص بعض الكلمات لم يتعرض لها عما جاء به الداني في المقنع.

ولعلَّ هذا الزيادات التي ذكرها الناظم بسبب النسخة التي وقعت بين يديه والتي بنىٰ عليها المنظومة من كتاب المقنع، فإن الذي يظهر أن هذه النسخة كانت تقريباً النسخة قبل الأخيرة التي صدرت عن الداني، وذلك لأن نسخ كتاب (المقنع) للداني اختلفت اختلافاً ظاهراً بين أولها وأخرها، بزيادات واضحة، وتفرقت في البُلدان من قِبل طلابه، ولذلك نجد أن الإمام السخاوي اعتمد كما يبدوا علىٰ نسخة متوسطة

١ الوسيلة إلى كشف العقيلة، ص(٨٤).

٢ المقنع في رسم مصاحف الأمصار. من أنفع الكتب وأعظمها في رسم المصاحف.

٣ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الداني الأموي، الإمام العلامة الحافظ أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، روى كتاب السبعة لابن مجاهد سماعًا، أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، وكان حسن الخط جيد الضبط من أهل الحفظ والذكاء والتفنن دينًا فاضلًا ورعًا سنيًا، توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة. غاية النهاية في طبقات القراء، (١/ ٥٠٣).

بين أوائل نسخ المقنع وآخرها، وهذا ظاهر أثناء شرحه للمنظومة عند حديثه عن الاختلاف بين ما في المنظومة والمقنع، والله أعلم.

هذا ما تيسر جمعه، والحمد لله رب العالمين.

❊❊❊

وكتبه

عبد الرازق بن محمد أحمد البكري

بمصر المحروسة بأمر الله

الخامس عشر من ربيع الأول ١٤٤٣هـ

الموافق الحادي والعشرين من أكتوبر ٢٠٢١م